مؤمنات من الإنجيل

١- يتبعن يسوع: لوقا ٨ : ١-٣

"وسار يسوع بعد ذلك في المدن والقرى، يعظ ويبشر بملكوت الله. وكان يرافقه التلاميذ الاثنا عشر وبعض النساء اللواتي شفاهن من الارواح الشريرة والأمراض، وهن مريم المعروفة بالمجدلية، وكان خرج منها سبعة شياطين، وحنة امرأة خوزي وكيل هيرودوس وسوسنة وغيرهن كثيرات ممن كنّ يساعدنهن بأموالهن"

ربّ قارئ يتساءل، لماذا اختار يسوع اثني عشر رجلاً ليتتلمذوا له ويحملوا رسالته، لا تمثل بينهم امرأة واحدة؟ تبدو الإجابة بديهية، إن عرفنا مقام المرأة اليهودية ومكانها في مجتمع تلك الأيام. ولكن يسوع تجاوز عادات عصره، لا بل تجاوز سنن الطاهر والنجس المرسومة في سفر اللاويين في العهد القديم، إذ سمح بمرافقة بعض النساء له ولتلاميذه وهنّأ مريم باختيارها النصيب الأفضل في الإصغاء للكلمة (لو١٠:٣٨- ٤٢)،وتقبّل أن تلمس النازفة ثوبه فيشفيها(مر٥: ٢٥- ٣٠)أو تغسل الخاطئة قدميه فيغفر لها(لو٧:٣٦- ٥٠)

على كل هؤلاء النساء، يحمل يسوع نظرة احترام وتقدير. فهو حر في باطنه، متحرر في كلامه، يرى في الإنسان - كل إنسان – رغبة قلبه المؤمن والألم الذي يتآكله ولا شفاء له إلا بالحب والرحمة. ومن بين اللواتي يتبعن يسوع ويتتلمذن له، حفظ لنا التقليد الإنجيلي بعض الأسماء، وقد تكون علامتهن الأولى أنهن شفين بالنفس والجسد، ولكن علامتهن الفارقة أنهن آمن بيسوع المسيح، إبن الله المخلص، وسرن وراءه على الرغم من حواجز المجتمع والدين. إنه حدث فريد في فلسطين القرن الأول الميلادي، ولكن الإنجيل يعلن بوضوح أن المؤمن يتحدى الحدود، مهما كان انتماؤه. قبل يسوع بهذا التتلمذ له دون أن يحكم على مجموعة النساء اللواتي يرافقنه، بل إياهن أعطى نعمة الأمانة حتى الصليب.والله يعلم كيف قادتهن الأمانة إلى الإيمان بالقيامة، هن أوائل الشاهدات على القبر الفارغ، هن أوائل المؤمنات بسر الحياة الذي وطئ الموت بالموت، وأوائل من حمل البشارة الجديدة إلى بطرس وسائر الرسل.

لا يمكننا ربما أن نعرف الكثير عن حياة أولئك المؤمنات، إنما يكفينا أن نتخذ من الإنجيل بعض خطوط الشهادة التي عشنها، علنا ندخل معًا مدرسة الإيمان. بينهن مريم أم يسوع، "إمرأة النعم" كما وصفها قداسة البابا فرنسيس، وهي أيضًا أولى المؤمنات، أما الأخريات اللواتي يذكرهن لوقا في الفصل الثامن، فلسن جميعًا

مثالاً يحتذى بحسب نظرة العالم. ولكنهن مثال في الإيمان الذي ينفتح على المطلق رغم ضعفه، ويعتنق المسيرة الصعبة خلف يسوع، بعد أن يختبر نعمته المجانية في شفاء النفس والجسد.

فأعنا يا رب وأعن قلة إيماننا.

مؤمنات من الإنجيل –٢

إليصابات ومريم

لوقا ١: ٣٩– ٤٥

"وهتفت أليصابات بأعلى صوتها...طوبى لمن آمنت : فسيتمّ ما بلغها من عند الرب"

ما أجمل اللقاء بين القريبتين المؤمنتين: العاقر والعذراء تنتظران مولود الوعد، مولود النعمة، مولود الفرح والرجاء.

أليصابات ومريم تستقبلان المفاجأة الإلهية بالتواضع والشكر والبساطة. أليست هذه طريق الإيمان الباطني، حيث يرتاح مجد الله في القلب الوديع المتواضع؟ أليصابات ومريم تفرحان بتحقيق النبوءات، لأن وقت الخلاص قد حان. ها ابنة صهيون تصغي إلى أشعيا يبشرها:"إصعدي يا مبشّرة صهيون. إرفعي صوتك بقوة يا مبشّرة أورشليم. إرفعيه ولا تخافي، قولي لمدن يهوذا: هوذا إلهكم"(أشعيا٤٠:٩)

"طوبى لك يا من آمنت "، فالإيمان إذاً موضوع الطوبى. لأنها آمنت، حملت مريم كل انتظار شعبها. لأنها آمنت سوف تطوبها جميع الأجيال. فهي التي قالت نعم للرب، لا باسمها فقط بل باسم شعب الله وكافة أجياله الماضية والحاضرة والمستقبلة.إنها " أيقونة الإيمان المطيع "كما وصفها البابا بنديكتوس. فيها ومن خلالها تستطيع البشرية بأكملها الاتحاد "بنعم "المسيح، الذي أخلى ذاته، واتخذ صورة العبد وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب (فل٢– ٦ ١١).

عندما قالت "نعم ها أنا أمة الرب" وآمنت أن ما قيل لها من لدن الله سيتمّ، انتصرت مريم نهائيًا على خطيئة حواء، كما سيمحو يسوع ابنها خطيئة آدم الأول.لذلك على الرغم من فرادتها، ليست مريم إمرأة وحيدة، معزولة، بل تمثّل بإيمانها شعب الله المؤمن المجتمع من كل حدب وصوب. من خلال مريم المؤمنة، هي البشرية جمعاء تقتبل ابن الله الحي في أحشائها. من خلالها هي كنيسة المسيح تعانق صليب سيدها وتقتفي

خطاه. إنّ نعم مريم هي نعم ابنها على الصليب. "فإن ابن الله المسيح يسوع الذي بشرنا به بينكم، أنا وسلوانس وطيموتاوس، لم يكن فيه نعم ولا بل كان فيه نعم. إن جميع مواعد الله لها فيه نعم. لذلك به أيضًا نقول لله"آمين"إكرامًا لمجده (٢كو١\١٩- ٢٠)

"نعم "مريم تتجذّر في تاريخ عهد الله مع البشر، عهد الحب والخلاص. هي "نعم "تتابع مسيرة الآباء والأنبياء وتحملها إلى اكتمالها. مثل "نعم" ابراهيم عندما سمع نداء الرب فترك أرضه وعشيرته وأهل بيته. مثل "نعم" يعقوب عندما صارع إلهه طوال الليل حتى الفجر قبل أن يطلب بركته. مثل "نعم" أشعيا صارخًا "ها أنا ذا أرسلني"...

فيا مريم يا ابنة شعبنا وأم الكنيسة. أنت "نعم" الإنسان لله، وبشفاعتك نصلي: علّمنا يا رب كيف نقول لك نعم، أعنّا وأعن قلّة إيماننا

مؤمنات من الإنجيل- ٣

مريم في الانجيل الرابع

يوحنا٢\١-١٢و١٩\٢٥- ٢٧

"إفعلوا ما يأمركم به"

خلافًا للأناجيل الأزائية، لا يذكر إنجيل يوحنا مريم أم يسوع سوى في موضعين اثنين، أولهما عند الآية الأولى التي صنعها يسوع في قانا الجليل، وثانيهما على أقدام الصليب. واللافت للنظر أن يوحنا لا يذكرها باسمها، بل يدعوها دومًا "أم يسوع"، وكأن هذا اللقب أصبح التعريف عنها، وشرف هويتها. ولكن أهمية دورها تكمن في حضورها المميز، سواء أكان في بداية الإنجيل أم في نهايته.فهي حاضرة عند تدشين رسالة يسوع، وهي واقفة تحت الصليب بعد أن تم كل شيء واختتمت رسالة ابنها، لا بل افتتحت رسالة الكنيسة.

ففي عرس قانا يبدو إيمان هذه المرأة الأم منتبهًا إلى حاجة الآخر وواثقًا بنعمة الله في الوقت عينه. ها هي تهتمّ لنقص الخمر فتُعلم ابنها. ولا شك أن إجابته لطلبها تحمل بعضًا من الغرابة، إذ يستنكر

قائلاً:"مالي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد". هو كلمة الله، الابن الذي يلتزم إرادة الآب والساعة التي رسمتها مشيئته. ولكن ما أدرانا بما فهمت مريم حين تابعت:"إفعلوا ما يأمركم به".

إن رفض يسوع الظاهر لطلب أمه تحوّل فعل ثقة وإيمان دون تردّد. وكما قال أحدهم:"تتكلم أم يسوع لغة الآب، فيخضع الابن". بإيمانها دخلت مريم في مشروع الله وعاشت الساعة،ليست بعد ساعة تمجيد الابن على الصليب، ولكن ساعة النعمة، ساعة الآية الأولى التي أظهر فيها مجده فآمن به تلاميذه. في الماضي ولدت يسوع الناصري، واليوم في قانا تلد مريم المسيح المنتظر، الذي يحوّل الماء خمرًا، والخمرَ ينابيعَ حياة من فيض دمه على الصليب.

"إفعلوا ما يأمركم به"، فتمتلئ الأجاجين خمرًا طيبًا. إنها نعمة الله تلاقي تعب الإنسان. الكل يعمل والمسيح يعطي مجانًا . إنه إيمان مريم لا يتوقف عند الظاهر، كما إنه عطاء يسوع،يستجيب لرغبة أمّه بما يفوق الانتظار. خمرة أولى ترمز إلى الخمر المسيحاني في آخر الأزمنة، وإيمان أم يستمرّ حتى الصليب. فهناك وقفت مريم المؤمنة، تسمع ابنها المصلوب يقول للتلميذ الحبيب:"هذه أمك". إنه التجرّد العميق الذي يضمن خصب المحبّة. إنه التخلّي عن كل الضمانات البشرية الذي يضمن خصب الإيمان. إنه الصمت أمام كل أمل من الأرض الذي يضمن خصب الرجاء.

"يا امرأة هذا ابنك". يا حواء الجديدة، كلنا ابنك. يا أمَ الكنيسة ومثالَها في الإيمان، حوّلي أنظارنا إلى الخمرة الحقيقية، المسيح يسوع. فنحن فقراء ومرضى، وأرضيون نبحث عن المطلق، ونصرخ بشفاعتك إلى أبينا السماوي: أعنا يا رب، وأعن قلة إيماننا.

مؤمنات من الإنجيل– ٤

السامرية

يوحنا٤\٤–٤٢

"لو كنت تعرفين عطاء الله، ومن هو الذي يقول لك إسقيني، لسألته أنت فأعطاك ماء حيًّا"

على حافّة البئر، جلس يسوع تعبًا من المسير وحرارة النهار فالساعة تشير إلى الظهيرة، والبرية مقفرة والتلاميذ مضوا إلى المدينة. وكما كان لا بد له من المرور في السامرة، كذلك كان لا بد للمرأة السامرية أن تستقي تحت أشعّة الشمس المحرقة. أتت بالصدفة، لم تسمع مطلقًا بما صنعه هذا الغريب من آيات، ولا قصدت بئر يعقوب لتعرض قلقها المزمن وعطش كيانها إلى الحقّ والحياة.

لا شيء يعدّها لهذه المغامرة المفاجئة، ولا للكلمات المضيئة التي سوف تسمعها، بل على العكس، كل ما هي عليه يفصلها عن يسوع، فهي امرأة، وسامرية، ومطبوعة بفوضى حياتها والآداب. سألها يسوع أن تسقيَه، فلم تتحاش الحوار. ليس هذا الغريب إلا يهوديًا عابرًا يستحقّ السخرية، تعيده إلى حجمه. أأنت اليهودي تطلب مني أنا السامرية؟ أين الشعور بالفوقية؟ أين التمسك بشريعة الطاهر والنجس؟...إنما في العمق، من تكون؟ من أنت؟"لو كنت تعرفين عطاء الله". وتبدأ المسيرة. حوار طويل، يلتصق فيه الإيمان الذي ينمو، بالشكّ الذي يرافقه مرافقة الظلّ.

تجتاز السامرية مراحل الإيمان خطوة خطوة، لا بل تنطلق من اللاشيء إلى أن تدرك الملء. فهي صورة السامريين جميعًا، لا بل صورة كل مؤمن يتوق إلى الماء الحي، ينتظر، يبحث، يتابع، تغمّس مسيرته في قلب الشكّ والتردّد، إلى أن ينفتح للنعمة ويمجّد الله."لو كنت تعرفين عطاء الله". يدعوها يسوع إلى أبعد. يكشف لها رغبتها الدفينة وعطشها الحقيقي. هو العطشان لأن يعطي الحياة، وهي تتابع اللعبة، حتى ولادة الحياة الجديدة. هي أيضًا تعبة، ظمئة، لا ترويها مياه البئر، ولا عظمة أبينا يعقوب. ومن عمق يأسها يتدفّق توسّلها الصامت، عندما يقول لها يسوع:"إذهبي فادعي زوجك"

"لا زوج لي". خلف كلماتها البسيطة واللعوب، تخفي السامرية عزلتها وبؤسها.رسمت تعاستها في جملة واحدة، فتحت الطريق ليملأ يسوع ثغرات حياتها. هو الآن بنظرها نبي، يذكر أزواجها الخمسة. كلّ لحظة مع يسوع تحمل لها المزيد من الإيمان، فتتقدّم في معرفته: إلى أن يعلن لها بوضوح:أنا هو، أنا المسيح الذي يكلمك. فتترك جرّتها وتصبح بدورها مرسلة تبشّر أهل السامرة بالذي ذكر لها كل ما صنعت. تحرّرت من عبء الماضي فصارت شاهدة للرحمة. آمنت، فساهمت في بناء جماعة مؤمنة تعترف بيسوع مخلّص العالم. لم تعد وحدها، بل أصبحت "كنيسة". بإيمانهاعرفت أن عطاء الله الحقّ هو المسيح يسوع، نبع الحياة. ونحن نؤمن يا رب فأعن قلّة إيماننا

مؤمنات من الإنجيل– ٥

الكنعانية

متى(١٥\٢١-٢٨)

"ما أعظم إيمانك أيتها المرأة، فليكن لك ما تريدين"

هناك على الحدود بين سكن اليهود والأرض الوثنية، على الحدود بين الطاهر والنجس، يطالعنا الإنجيلي متى بأغرب قصة جرت مع إمرأة كنعانية تتوسّل إلى يسوع شفاء ابنتها.

الأجواء مشحونة بين يسوع والفريسيين، والنقاش جارٍ حول مخالفة وصايا الله لإرضاء سنّة البشر وحول ما ينجّس الإنسان فخرج يسوع من بينهم واتجه إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة خرجت هي أيضًا من تلك البلاد، تصيح دون تأنٍّ:"رحماك سيدي يا ابن داوود". كلٌّ خرج من أرضه ليلتقي الآخر على الحدود: يسوع خوفًا من الفريسيين، والكنعانية طلبًا للشفاء.وما ذكر انتمائها الكنعاني القديم، ومدينتي صيدا وصور إلا تذكيرًا بما ورد في النبوءات عن خطيئة الأمم الكافرة والعداوة الشديدة التي تفصل الشعوب الوثنية عن شعب الموعد. ثلاث مرات صرخت الكنعانية إلى يسوع. بدأت بالصياح الصاخب، وقد نقول صياحًا شبيهًا بالنباح، مستعملة لذلك لقبًا مسيحانيًا معروفًا لدى اليهود:"رحماك يا داوود".وما علاقتها، هي الوثنية، بسلالة داوود وبملك مسيحه؟ ألعلّها تتخذ كلمات الآخرين لتتملّق من هو قادر على إغاثتها؟ أما يسوع فلم يجبها بكلمة. وكأنه أغلق قلبه عن الرحمة التي تلتمسها بألقاب مستعارة.

أليس تلاميذه أكرم منه شفقة وحنانًا، إذ يحثونه على إجابة طلبها؟ إنما دوافعهم في كسب راحتهم:"إصرفها فإنها تتعبنا بصياحها". لن يكون هذا موقف يسوع لأنه لن يلبث أن يعطيهم إيمانها مثالاً يهزّ تقواهم الفاترة.

ثابرت الكنعانية ثانيًا على طلبها على الرغم من صمت يسوع، فسجدت قائلة له: "أغثني". لم تعد تتطلب الكثير، إن كانت غير أهل لرحمة ابن داوود وتعاطف قلبه، فهي تكتفي بالإغاثة البسيطة، بأن يفعل أمرًا لا يكلّفه شيئًا. تنازلت عن طلبها الأوّل، وأعلنت حاجتها وفقرها وفعل سجودها وإيمانها. وهنا تنزل كلمة يسوع نزول الصاعقة:" لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين ويلقى إلى جراء الكلاب". إنما المفاجأة في جواب المرأة الثالث والأخير:"حتى جراء الكلاب تأكل من الفتات المتساقط عن موائد أصحابها". دخلت حتى العمق في منطق يسوع: نعم، لن يؤخذ الخبز بالقوة عن الموائد، فقط ليدعه يتساقط. فالفتات كافٍ للخلاص، للحبّ والرحمة. خبز الحياة للجميع، لا يستثني أحدًا من فيض عطائه.

مسيرة إيمان المرأة الكنعانية تحرّر دائم إلى حد الاكتفاء بفتات النعمة. فما كان من يسوع إلا أن أعلن إعجابه الشديد بإيمانها، وقال لها هي الوثنية، ما يقوله في صلاته إلى الآب:"لتكن مشيئتك، ليكن لك ما تريدين". بإيمانها فهمت ما وراء الكلام، ورأت ما وراء المنظور، ونحن معها نؤمن، فأعن يا رب قلّة إيماننا .

مؤمنات من الإنجيل– ٦

النازفة

(لوقا٨\٤٣-٤٨)أو(مرقص٥\٢٥-٣٤)

فقال لها يسوع:"يا ابنتي، إيمانك خلّصك، فاذهبي بسلام"

دنت إلى يسوع من خلف، لا تجرؤ أن تلتمس علنًا نعمة الشفاء. وكيف لا وهي امرأة منزوفة منذ اثنتي عشرة سنة، وقد أنفقت كل ما تملك على الأطباء، من دون جدوى. يغلّفها الشعور بالذنب والخجل من مرضها المزمن. فهي نجسة بحسب الشريعة، كما ورد في سفر الأخبار(١٥\٢٥-٢٧): "وأيّة امرأة سال دمها أيامًا كثيرةً في غير وقت طمثها...تكون نجسةً...وكلُ من مسّ شيئًا نجسًا، يغسل يديه ويستحمّ في الماء ويكون نجسًا حتى المساء.

ما أبعدها إذًا عن طهارة الشريعة. وهي المريضةُ بنزف الدم منذ زمن طويل، تتحاشى الاختلاطَ بالجمهور لأن نجاستَها معدية. بل يحرّم عليها الاقترابُ من كاهن يهودي أو من نبيّ، لِئلّا تعرض العبادة للبطلان وللدنس المكرّسين لله.

أتت خِفيةً، تتقي سرَّ الفضيحة وتحتمي بسلوكها الحذر. هي مجهولةٌ، لا اسم لها، ضائعة في ازدحام الجماهير ولكنها وحدها. قد عزلها مرضها دينيًا واجتماعيًا، وحتى جسديًا واقتصاديًا. فكأن لا معارف لها ولا أقارب ولا أصدقاء...ولا كيان.

لا تعرف يسوع إلا من خلال ما سمعت عنه، فحزمت أمرها على الاقتراب منه. آمنت بقدرته على شفائها، حتى ولو دون علمه. فصار صمتُها أبلغَ من التوسّل، وعذابُها المرير أشدَّ فصاحةً من نداء الاستغاثة.

إنما يسوع يعرف بؤسها وحرارة إيمانها على السواء. ها هو يستوقف الشعب كله متسائلاً:" من لمسني؟ شعرت بقوة خرجت مني"وأجال الطرْف ليرى التي فعلت ذلك.
فهو عالم بها وبتاريخها. يريدها أن تأخذَ مكانها في الجمع وتستعيدَ مكانتها في المجتمع. وثقت به فأعاد إليها الثقة بنفسها.
سؤاله اضطرّها للإفصاح عن نواياها كابنة لله بين باقي أبنائه."يا ابنتي إيمانك خلّصك"، إيمانك أرجع إليك صفة البنوة، فاذهبي بسلام. إيمانك استحثّ الرب والمعلّم وأخرج منه قوة النعمة ، قوة الشفاء، قوة الحياة.
ونحن، مع المرأة المنزوفة، ندعوك يا رب لتشفينا، نؤمن بك، فأعن قلّة إيماننا.
مؤمنات من الإنجيل٧
"توبة امرأة خاطئة"
(لوقا٧\٣٦- ٥٠)
عندما يذكر يسوع كصديق للعشارين والخاطئين، يظهر لنا الإنجيلي لوقا وجه الرحمة الإلهية، وجه حنان الله وغفرانه واهتمامه بكل الخطأة والضعفاء والمهمّشين. ومن بين هؤلاء الذين يحتقرهم المجتمع، يخبرنا لوقا عن خاطئة معروفة في المدينة، أتت بيت سمعان الفريسي، تغسل قدمي يسوع بدموعها، وتمسحهما بدموعها، وتدهنهما بالطيب الغالي.
وكما درجت العادة قديمًا في الشرق، يمكن لأي كان الدخول إلى البيت الذي تقام فيه الوليمة. فالبيت، ومائدة الطعام بشكل خاص، هو مكان التجمّع، مكان اللقاء، مكان الحياة والعلاقات. ويسوع ليس بعيدًا عن أحد، فهو يقبل دعوة الفريسي سمعان، كما يثمّن مبادرات الخاطئة. ولكن ألم تبالغ هذه الأخيرة في إظهار عواطفها وعلامات محبتها؟ لم يقل سمعان الفريسي شيئًا، لم يعبّر علنًا عن رأيه، كما فعلت هذه المرأة ببساطة، دون غش ولا رياء. فقط فكّر في نفسه، لا تهمّه المرأة بحدّ ذاتها، بل همّه موقف يسوع وهوّيته: لو كان هذا الرجل نبيًّا، لعرف من تكون هذه الخاطئة. لو كان نبيًّا لما سمح لها أن تلمسه، خلافًا للأصول ومخالفة للشريعة.

إنما يسوع أكثر من نبي، إذ عرف ما يجول في نفسه وأعطاه مثلاً:"كان لدائن مدينان، على أحدهما خمسمئة دينار وعلى الآخر خمسون، فأعفاهما، فأيهما يكون أكثر حبًا له؟". نعم، يسوع أكثر من نبي، إذ كشف عمق القلوب، لم يحكم على أحد مع أنه العالم بسرّ الإنسان. قامت الخاطئة بواجب الاستضافة الذي لم يقم به صاحب البيت. فسمعان رجل القليل، والخاطئة إمرأة الفيض. يعتبرسمعان أن دينه قليل، فيظهر حبًا أقل. لا يسكب ماء على قدمي يسوع، لا يدهن رأسه بزيت، لا يقبّله قبلة...فهو دومًا إنسان الأقل، يكتفي بالدون. وهي الخاطئة العلنية المعروفة من الجميع، تبكي ندامتها بفيض دموعها، تسكب قلبها طيبًا وإيمانًا وحبًا. ولا عجب، فهي تعلم أنها اقتبلت الغفران على الكثير، لذلك تظهر حبًا كبيرًا. إن مجانية الغفران لا تقاس بحسب مكيال الإنسان، فسمعان لا يعي أيضًا أنه هو أيضًا خاطئ يحتاج المغفرة، نسي الفريسي أن لا إنسان كامل أمام الله بل كلّنا خطأة، لذلك لا يعتبر نفسه مدينًا لله مثل هذه الخاطئة التي ينظر إليها من فوق. ولكن على العكس، هي تعي وضعها، تقرأ حقيقة ضعفها على نور رحمة الله وغفرانه، تؤمن به مخلصًا فتسمعه يقول لها: غفرت لك خطاياك. إيمانك خلّصك فاذهبي بسلام.

هبنا يا رب إيمانًا متواضعًا، فنسلك في النور والحق، أعن يا رب قلة إيماننا.

مؤمنات من الإنجيل٨

"مرتا ومريم"

لوقا(١٠\٣٨-٤٢)

"مرتا مرتا، تهتمين وتضطربين بأمور كثيرة، مع أن الحاجة إلى أمر واحد. فقد اختارت مريم النصيب الأفضل ولن ينزع منها"

بينما تصغي مريم بشغف إلى كلمات يسوع، تضطرب شقيقتها مرتا حركة واهتمامًا لإكرام الضيف العزيز. فمريم تسمع ولا تخدم، ومرتا تخدم ولا تسمع. لا تشتكي مرتا من ضيق وقتها للإصغاء، وكأن كلام يسوع لا يعنيها مباشرة بقدر ما تعنيها الواجبات الاجتماعية. فهي تقوم بالخدمة، ولكنها تتكلم وتتصرف كأنها سيدة الأمر، تملي ما يجب فعله على ضيفها وعلى أختها على السواء.

"قل لها أن تساعدني"، ما أعجبها طريقة في إكرام الضيف،إذ تشعره بعناء الخدمة وبعبء الأشغال الضرورية. تبدو مرتا غير سعيدة بدورها، بل تلفت النظر إلى شخصها بدلاً من أن يكون يسوع مركز اهتمامها وخدمتها

فيسوع ليس زائرًا عادياً، وهي لم تر فيه بعد المسيح الآتي. مرتا تتوقّف عند الأمور العملية والمادية ولا شكّ أنّ هذا أمر جيّد، ولكنّه أمر غير كاف للاستعداد للملكوت. فالضروري الأوحد هو يسوع بالذات، لذلك اختارت مريم النصيب الأفضل. نظرت مريم إلى الأمور بإيمانها، فهي توجّه عينيها إلى يسوع لا إلى نفسها. هي لا تبحث عن تقدير شخصي لها ولأعمالها، بقدر ما تتذوق كلمة الرب في باطنها وعمق كيانها. تتتلمذ ليسوع فتعرف أنه هو السيد. وكما يقول القديس أغوسطينوس:"مرتا هي صورة التملك ومريم صورة الرجاء". أي إن هناك فرقًا بين الخادم وبين التلميذ، فالذي يخدم بنفسية المستعبد المضطر لا يستطيع دخول الإيمان المتواضع المستنير، بينما التلميذ الحقيقي ليسوع يعمل كل شيء لمجد الله، سواء أكان يخدم أم يصغي أو يتأمّل بسكون عظائم الله.
مريم المؤمنة تشرب كلمات يسوع مياهًا حيّةً تتدفّق في داخلها. لا تلوم أحدًا ولا تحكم على أحد في طريقة خدمته ليسوع وعلاقته مع الرب. لديها نمطها الخاصّ في التتلمذ تعيشه بصدق الإيمان. نصيبها الأفضل هو حبّها للربّ الذي آمنت به. وكم يضعف إيماننا عندما ننظر أحيانًا إلى الآخرين، بدلاً من أن نبني حياتنا على كلمة النعمة الإلهية، فأعنّا يا رب وأعن قلة إيماننا.
مؤمنات من الإنجيل ٩
"مريم المجدلية بعد القيامة"
(يوحنا٢٠\١١– ١٨)
يوم الأحد بكرت مريم المجدلية إلى القبر، والظلام لم يزل مخيمًا ولكنّ القبر الفارغ أزعجها. خلافًا لبطرس والتلميذ الحبيب اللذين آمنا ورجعا إلى حيث يقيمان، بقيت مريم واقفة تبكي. لم يساعدها القبر الفارغ على الإيمان، فهي لا تزال تبحث عن جثمان يسوع، تريد أن تراه أن تلمسه أن تستعيد هذا الجسد الغائب، ولو للحظات قلائل. يلفّها الحزن الشديد فتنسى الخوف والدهشة عند رؤية الملاكين في ثيابهما البيضاء. أعماها الألم عن الإيمان فلا تتوانى عن تكرار ما يؤلمها: "أخذوا ربي ولا أدري أين وضعوه".وبعد القبر الفارغ وسؤال الملاكين، أتى يسوع بنفسه لإعانة إيمانها للمرة الثالثة. رأته واقفًا ولم تعرفه. ظنت أنه البستاني فتوسّلت إليه: "إن كنت أنت قد أخذته"...نعم، إنه يسوع بالذات، هو الذي أخذ الجسد بالواقع، لأنه قام من بين الأموات. ولكن المجدلية لم تفهم هذه العلامات الثلاث، فناداها يسوع باسمها: "مريم" حينذاك فقط صرخت: "رابوني" أي يا معلم. التفتت إلى الوراء، بل بالأحرى، غيرت وجهة نظرها، اختبرت التوبة، قبلت

أن تخرج من ذاتها لترى ما لم تكن تنتظر أن تراه. وذلك لأن يسوع ناداها باسمها: "مريم" فعرفته. لم يعد إيمانها رهينة الجسد الذي تبحث عنه لتدهنه بالأطياب. إيمانها وليد علاقتها الشخصية بيسوع، وليد النعمة، وثمرة نداء يسوع: "مريم"، فتؤمن وتصبح شاهدة على قيامته وعلى دخوله في مجد الآب، تعود وتبشر التلاميذ بأنها رأت الرب وأنه قال لها ذاك الكلام. مسيرتها الإيمانية تنتقل من الألم على غياب جثمان تبحث عنه، إلى معرفة الرب القائم من الموت الذي يناديها باسمها ويسلّمها رسالة إلى الإخوة.

لا تمسكيني، لا تبحثي عن إبقائي أسيرًا لصورة تعرفينها سابقًا، بل اذهبي وبشّري. مسيرة الإيمان مسيرة توبة وتجدد، مسيرة قبول بالتعرّف إلى الرب من خلال أنماط جديدة لا نتوقّعها، مسيرة عودة إلى الإخوة في قلب الجماعة، في قلب الكنيسة.

أبعد من المظاهر، أبعد من الأمور البشرية،آمنت مريم بيسوع القائم من الموت عندما ناداها باسمها. لقاؤها الشخصي مع الرب أصبح بابًا للإيمان ولتخطي الحزن والألم وغياب الحبيب.

فأنت يا رب دومًا حاضر معنا، تدعونا وتبني ملكوتك فينا، إنما دعوناك أن تنظر إلى ضعفنا وتعين قلة إيماننا. آمين.

مؤمنات من الإنجيل ١٠

أرملة نائين

(لوقا٧\١١– ١٧)

"لما اقترب يسوع من باب المدينة، إذا ميت محمول، وهو واحد أمّه وهي أرملة...فأخذته الشفقة عليها وقال لها لا "تبكي". ثم دنا من النعش، فلمسه، فوقف حاملوه. فقال:"يا فتى أقول لك قم" فجلس الميت وأخذ يتكلم، فسلّمه إلى أمه..."

إبنها وحيد وهي أرملة، فقدت معه اليوم كل شيء. غابت عائلتها فاختفى معها كيانها كامرأة يهودية، فكيف تحتمل من بعد ثقل مصيبتها وعزلتها؟ لم تطلب شيئًا، فهي تبكي عمق حزنها، واللامعنى الساكن ما تبقى من حياتها. إنها صورة اللاشيء، صورة العدم، اللاكيان واللامعنى. ولما رآها الرب، تحرّكت أحشاؤه تحسسًا وشفقةً. هو السائر مع تلاميذه يلتقي موكب الحداد على أبواب المدينة. إنه معبر النعش إلى مدفنه

خارج مساكن الأحياء. ولكن يسوع يستوقف الجمع. سوف يلتقي موكبُ البشارة موكبَ الحداد، سوف تلتقي قوةُ الحياة وطأةَ الموت، سوف تتحول طريق الحزن المسدودة إلى باب مفتوح على الرجاء والإيمان. دنا يسوع من النعش ولمسه. لم يخش أن يتنجّس من لمس الجثّة، لأن الموت لن يعود موتًا. أعاد يسوع الفتى إلى أمه، أي أعادها أمًا، أعاد إليها الأمومة، ومع الأمومة كل الاعتبارات اليهودية: السلام، الكرامة، والمستقبل، الكيان ومعنى الحياة....

لم تعبّر هذه الأرملة عن حاجتها ولا عن إيمانها تجاه يسوع، إنما هو رأى دموعها وعمق الحزن الذي يتآكلها. في محنتها يتألّق إيمانها الصامت وتسليمها لمشيئة الله، وهو العالم بنداء استغاثتها العاجز عن الخروج من حلقها. وها هو الموكب أيضًا يتوقّف فجأة، بمجرّد أن لمس يسوع محمل الميت. وقف حاملوه لأنهم آمنوا. أصغت الأرملة إلى دعوة يسوع لها "لا تبكي" لأنها آمنت. تعلّق نظرها بيسوع تنتظر منه النعمة، فأجاب بما يفوق الطلب. أشفق على ابن الأرملة الوحيد، ولكنّه هو الابن الوحيد سوف يتمّم إرادة الآب حتى النهاية، حتى الصليب. وبموته يعطي الحياة، لأنّ الحياة أقوى من الموت. ولأن الإيمان طريق الحياة.

فأعنّا يا رب وشدّد إيماننا الضعيف.

أعن يا رب قلّة إيماننا.